كل غريب في بلادنا يحتل مركزاً لا يحتله سواه ونحن نستفيد من مجموع هذه الحالات فائدة كبرى لا نشعر باهميتها الا حين مفارقتها بل نحن لو فارق مدننا البرابرة والصعايدة فقط لشعرنا في الحال باعظم نقص اذ تبيت منازلنا بلا خفارة وتنقطع من بيننا اكثر اعمال البناء والنقل وما شابههما. فعسى ان يكون في هذا الفصل عبرة لجميعنا فنعتبر كل غريب بيننا نافعاً ومنتفعاً لانه اذا كان الانكليز وهم ارقى امة في الارض يعترفون بانهم يتضايقون جداً لو فارقهم بعض الغرباء مع انهم بحذقهم يستغنون عن الجميع فما يكون القول بنا ونحن لا نستطيع صنع ابرة او جدل خيط

الام

في الحجرة امرأة تتطلع الى السماء وقد عقد العرق البارد تاجاً من اللؤلؤ على جبينها وسرى الالم مع الدم في عروقها فلا مغرز ابرة في جسمها الاَّ وهي تشكو فيه وجعا ولا دقيقة تمر بها الا وتخشى فيها على حياتها جزعا تحاول الاستنجاد وانى المنجد وقد غاص الصوت في اعماق الصدر فلا يسمع وتبسط يدها في الفراغ المطيف بها ثم تقبضها كأنها الهابط في الجب يتلمس الجذع شفيعاً للخلاص ولكن من يشفع . ثم تنتصب قائمة ثم تقع وقد تولاها اغماء تصبح فيه والاموات سواء ثم تتنابها آلام جديدة اشد من الاولى توقفها هنيهة على عتبة الابدية فلا تعود منها وينتهي عذابها الا بصوت

يسمع من بين جنبيها وهو هتاف النصر الصادر من النفس المتعارفة مع الوجود للمرة الاولى . فيطفح وجه الوالدة بشراً عند سماع ذلك الصوت ويعقب النزع الاليم سكينة كلها سرور وانبساط . ذلك انها انتجت للحياة ولداً هو ثمرة الحب الذي غرسته مع صفيّ فؤادها في رياض الهناء وجنان النعيم . وكأني بالطبيعة صاحبة هذا الابداع في نظام الكائنات تريد بان اقدس مظاهر الامومة واطهر مخلوقات الارض وهو الطفل يرد حوض هذه الحياة بين اجل لذات الالم والوجع . اترى كيف ان الصاعقة متى انقضت على شجرة تركت فيها من اثرها وجعلتها مقدسة كذلك مبدع هذا الكون حين يطل على المرأة وهي تبدع في دورها وتبرأ مخلوقاً جديداً يصعقها في ادق ذرات حياتها لتحتفظ بذكر تلك الصدمة الهائلة العلوية . وتصبح الوالدة من ذلك الحين وهي قد عقدت مع وليدها عهداً وثيقاً من الحب فلا تحبه لاجل ما احتست بسببه من كؤوس الحب الصافي وما ابتنت له من قصور الآمال وما تلذذت به من حلو الاماني بل لاجل ما قاسته في ولادته ووضعه من الاوجاع والآلام . اجل انها ما تكاد تشعر بارتكاض هذه الروح الجديدة في احشائها حتى يتحول انبساط تلك الشبيبة الى انقباض وتلك البشاشة الى عبوسة وتلك الخفة الى رصانة وتعقل واذا نظرت الى عينيها وجدتهما غائصتين في بحر اللانهاية . فمن اين تأتي هذا الانقلاب العجيب ؟ ادركت انها تحمل قدراً جديداً ومستقبلاً مجهولاً وهو هذا الطفل النائم الآن في سريره والذي قد يكون شيئاً مذكوراً في مستقبل العمر اذا اسعفته الاقدار وعاونه حسن الطالع وسعد الزمان . وفوق ذلك فهو عروة وثقى تزيد في الجمع بين المرأة والرجل وتكون موضوع حب جديد لهما متى فاتهما عهد الحب وجاء شتاء

الحياة المثلج بعد ربيعها الناضر البهيج

ان العازب تنقصه فضيلة واحدة وبالتالي فرصة لادراكها فهو اذا عاد مساء الى بيته لم يجد فيه امرأة تعلمه طيب الخلق ولا طفلاً يقتبس منه سلامة الضمير . فلامن يحبه ولا من يحنو عليه ولا من يمد اليه يد المساعدة بل هو يعيش وحيداً طريداً فريداً بلا غاية يسعى اليها الا نفسه . وقد يتوهم مع ذلك انه عائش في حين ان الحياة تنكره ولا يشغل فيها الا ما يشغله الخيال من المكان . والحقيقة ان الانسان اذا اعتبر منفرداً خارجاً عن الاسرة لم يكن الا بدء رجل لا يستتم كمال وجوده الا متى افرغ في نفسه ما يطفح في فؤاد الام او الاخت او الامرأة او الابنة حتى اذا امتزجت به كل تلك الوجدانات الشريفة والشمائل الكريمة التي هي ازهار النفس صارت له نفس كما يقتضي ان تكون النفوس تجمع بين نشاط الرجل ورقة المرأة . ومن كلام باكون ان الرجل متى اتخذ له اسرة يكون كأنه قلد القضاء سلاحاً يحاربه به وهو اعزل وقواه عليه بعد ما مهد له سبيلاً للاستيثاق من ضعفه وعلى ذلك فمن كانت هذه حالته كان في دولة التعسف اكبر معوان لها على الاعتداء في غوايتها والاسراف في طغيانها لانه قد يحل به من الضربات والنوازل بقدر ما عنده من الاولاد . اما العازب فعلى العكس من ذلك مقيم راحل بل هو كما انشد فيه الطغرائي في لاميته

فيمَ الاقامة بالزوراء لا سكني ... بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

على ان باكون كان طائش السهم اذ توهم انه اصاب الحقيقة فيما ارتأه وهو لم يصب الا الخطاء المحض فقد كان من حقه ان يعكس كلامه ويقول ان الرجل عندما يتخذ اسرة يتخذ درعاً ضد صدمات القضاء وصروف الحدثان .

لانه ان طالت يد الظالم العاتي الى ان ينتزع من الوطني حق التمتع بوطنيته وان يطارده في الاسواق والاماكن العمومية حيث يعيث فساداً كما تعيث السباع الضارية في القفار والبراري فقد تقصر يده عن الاستطالة على الاب في بنيه بين اولاده حيث يبقى محتفظاً من الكرامة والسعادة بقدر ما تسمح به الحرية المنتحبة الباكية في ذلك المهد على ما كان وطناً فصار سجناً

ومهما تكن الحال فان اب الاسرة لا يعدم عملاً يعمله في ايام الشدة والازمات السياسية فهو يشتغل ويقتصد وكانه بهذا المال الذي يكتسبه بعرق الجبهة ويورثه الى من بعده يستبق الايام في تأييد دولته ويعزز شأنها لان كل درهم يقتصده في سبيل اولاده انما هو يقتصده في الواقع في سبيل اعتاق وطنه من ربقة الحاجة والذل . لا جرم ان الاستقلال في الحطة ضمانة للاستقلال في المبادئ والاخلاق وهو ما يدعونا الى القول بانه يلزم لدولة التعسف والظلم شعب متسول مستعط لانه متى كف الشعب يده عن العمل كف الظالم عن ظلمه بل ضعضع عرشه ولاشى سلطانه

نعم وللام نصيب كبير في الشغل والعمل فهي بعد ما تخلق الولد خلقاً مادياً تخلقه خلقاً ادبياً وليست الامومة في الحقيقة الا انشاء مستمراً متواصلا وذلك لان الام تنشئ الرجل من الولد بالعلم والتربية . وما ذلك بالامر الهين السهل المنال بل دون تحقيقه جهد شاق وحيلة صعبة تستقيها من معين حنانها وانعطافها وجلدها . فتراها اذا وجدت ولدها خالياً من عمل واحبت تعويده محبة العمل شغلته بعمل يفيده وهي توهم انها تعبث بلهوه . وان شاءت ان تستميل نفسه الى الخير فعلته امامه وان ارادت ان تعلمه كيف يكون الحب الشريف الطاهر جعلت له من نفسها قدوة ناطقة ومثالاً حياً . وعلى

ما يقوم باود الحياة خلافاً لاصحاب التجارة والموظفين والاغنياء فان المرأة لا عمل لها الا في شؤون البيت وهم يكرهون امهار الزوجات ويؤثرون ان تكون نساؤهم فقيرات كي يبقى لهم عليهن مطاق السلطان وقد وضعوا لذلك مثلا سائراً عندهم وهو (من اراد ان يعيش عيشة رضية فلا يتزوج امرأة غنية) وعندهم ان المرأة اذا كانت موسرة فانها تدل على الزوج بثروتها وتفاخره بمالها فيمر معها العيش ويضيق نطاق العشرة

وعلى الجملة فان الزوجة اليابانية على ما تسامه من الحسف، تعد نفسها من اسعد الزوجات وقد سرى الى اليابانيات التمدن الافرنجي فاخذن يتعلمن ويتدرجن بالفنون واطراح التقاليد القديمة وذلك من قريب فخرج منهن الشاعرات والمصورات والحاسبات ولا يمر بهن زمن قريب حتى يضاهين الافرنج في جميع الشؤون فان هذا الشعب قد اصبح بنشاطه وحسن اقتدائه قدوة لسائر الشعوب المتأخرة

لطائف شعرية

نشرنا في الجزء الماضي شيئاً مما دار من الشعر بين حضرة الشاعرين المجيدين احمد افندي محرم وامين افندي الحداد . ونحن نثبت الان هذه القصيدة وقد بعث بها حضرة الاول الى الثاني يرد بها على قصيدته الرائية وهي

يا من يحسن عندي الخمرا لأحبها ويهون الامرا
الخمر اعشقها وتعشقني لكن أرى الاعراض والهجرا

اصبحت اهجرها وما اقترفت ذنباً يذم ولا جنت وزرا
كم ليلة للخمر صالحة مرت فما أحلى وما أمرا
صافحت فيها الدهر موثلقاً ولقيت فيها الحظ مفترا
واخذت والندمان تحدق بي منها بما الهى وما سرا
من كل ازهر في شمائله معنى يزيد اخا النهى ذكرا
حلو الحديث اذا انتشى فكه ينضي الحياء ويخلع الكبرا
ندعو فيسعى بيننا خنث يدع القلوب بلحظه اسرى
ترف البنان اذا اصافحه صافحت في اكمامه الزهرا
يجلو لنا حمراء صافية تكفي ذوي كاساتها العذرا
تبدو لذي العدم الذي احتكمت في تبره فيخالها تبرا
من آل قيصر نستبد به طوراً وطوراً من بني كسرى
يأتي فيشغلنا ونشغله عن كل ذي كأس به اغترا
فيظل يدعوه وقد جعلت حاجاتنا في اذنه وقرا
حتى اذا طال الحديث أتى مولاه يدمى لحظه شزرا
ويقول قولاً ليس نفهمه لكن نظن لاجله شرا
كم منةٍ للخمر اشكرها مهما اردت لمنة شكرا
كانت لفكري صيقلاً عجباً تجلوه اذ تجري به فكرا
أيام كان الشعر يغلبه فاليوم اصبح يغلب الشعرا
ينهى قوافيه ويأمرها فتطيع منه النهي والامرا
يجري وتجري الحادثات معا لم يألوا كرّاً ولا فرّا
لو كان يثني الشعر رائعها لم تلفني اتخير الدرّا